# مَقالاَتُ مُختارة حَول القَوميّة العَربيّة

من حقبة الستينات


- نهاد الغادري
- ياسين الحافظ
- جودة الركابي
- مصطفى بازام



منشورات




جوان 1986

# القوميّة العربيّة حقيقتها ومحتواها

بقلم

نهاد الغادري

لقد كانت القومية، كظاهرة تاريخية، موضع بحث طويل. فقد تناولها الكتاب والمثقفون بالبحث والكتابة، وأثاروا حولها الكثير من الجدل والمناقشة، دون ان يصلوا فيها الى تعريف ثابت، لانهم وجدوا حالات قد تتشابه، ولكنها قد تختلف أيضاً وتفترق. فلكل قومية شروطها الخاصة بها، مما يجعل دراستها مستقلة عن القوميات الاخرى، أمراً لابد منه للوصول الى تحديد علمي لها، ومعرفة مقوماتها واهدافها، حقيقتها ومحتواها.

على انه مما لاشك فيه، ان كثيراً من الغلط في مناقشة موضوع القومية، مرده الى ان للقومية جانبين للبحث، لا يفرق بينهما الكتاب والمثقفون عادة.

فهي من جهة، حقيقة موضوعية لها مقومات تلتقي فيها القوميات بشكل عام، ويمكن تعريفها. وهي من جهة اخرى، شعار تنضوي تحته شعارات، يناضل شعب ما لتحقيقها. ولقد تختلف مابين قومية وقومية، وتفترق. وقد يبلغ مابينها من الاختلاف والافتراق، مابين أبعد المتناقضات.

فبينما تتجه قومية، مثلاً، الى الفتح والغلبة، تتجه قومية اخرى الى الاستقلال والحرية.

فما هو الجانب الموضوعي من القومية، الذي تلتقي فيه القوميات جميعاً، وكيف تختلف القومية، في محتواها وأهدافها، ما بين شعب وشعب.. ولماذا كانت كلمة القومية حين ترادف الشعب الالماني، أو الفرنسي، تعني شيئاً مختلفاً، بل متناقضاً، مما تعنيه حين ترادف الشعب العربي؟

يعتقد الكثير، ممن يناقشون اليوم موضوع القومية، أو يكتبون فيه، ان القومية، في تعريفها العلمي، تعني الامة وهو اعتقاد مخطىء، وتعريف مغلوط، لا يتفق وواقع القوميات.

فالامة مفهوم تاريخي حديث، نشأ مع تصفية نظام الاقطاع، ونمو الرأسمالية. ومقوماتها هي وحدة اللغة والارض والمعيشة والتاريخ والثقافة.

أما القومية، فانها جزء من الامة، كان لها مقومات الامة في فترة من التاريخ، ولكن ليس ضرورياً ان تكون قد بقيت هذه المقومات جميعاً، فقد تفقد القومية وحدة الارض والمعيشة، وتبقى بعد ذلك.

فالارمن الذين يعيشون في بلادنا اليوم، مثلا، كانت لهم مقومات الامة.. كانوا يعيشون على أرض واحدة، وكانت لهم لغتهم الواحدة، وثقافتهم الواحدة، ومعيشتهم الواحدة وتاريخهم الواحد. فلما ألمت بهم النكبة، ولجأ بعضهم الى بلدان مختلفة، فقد وحدة الارض والمعيشة، ولكنه احتفظ بطابعه القومي، وما يزال محتفظاً به، لانه حافظ على وحدة اللغة والثقافة والتاريخ، وبقيت له بذلك خصائصه النفسية.

وكذلك الامر، بالنسبة للاقليات القومية التي تعيش خارج حدودها التاريخية.

فالقومية اذن ليست الامة. وانما هي الحدود الواضحة الغائمة حيناً آخر، مابين شعب وشعب. ومقوماتها هي اللغة الواحدة، والتاريخ الواحد، والثقافة الواحدة، والخصائص النفسية المميزة. فهذه العناصر الاساسية هي التي تعطي لهذا الشعب او ذاك، لهذه الامة. او تلك، سماتها الخاصة، وقرابتها، التي نعبر عنها بالقومية.

فبغير اللغة، لا توجد القومية. لان اللغة، في الاصل، طريقة مشتركة في التصور والاحساس، تنشأ منها الثقافة المشتركة، ويأخذ بها الشعب طابعه الخاص وتكوينه النفسي.

وبغير التاريخ، لايمكن ان توجد الثقافة واللغة، فلا بد للجماعة البشرية من تاريخ تشترك فيه باللغة وتتكون لها خلاله الثقافة المشتركة، والعادات والتقاليد، وتأخذ منها خصائصها المميزة وسماتها.

وثمة خطأ آخر يقع فيه بعض الذين يكتبون او يناقشون موضوع القومية. فلقد يرون ان القومية تعني الدولة. فاذا كانت كذلك، فماذا نقول في دولة كالصين يعيش فيها اليوم اكثر من ستين قومية؟ وماذا نقول في القومية العربية، المجزأة الى دول يفصل ما بينها كل ما يفصل بين الدول المستقلة من حدود، وأنظمة، وقوانين؟

على ان التقاء القوميات جميعاً في مقوماتها الاساسية، يقابله اختلافها وافتراقها في محتواها السياسي، وفي اهدافها وشعاراتها

فالقوميات الاوربية، وليدة القرن التاسع عشر، تفترق اهدافها، ويختلف محتواها، من القوميات الآسيوية والافريقية التي بدأت تتجه الى استكمال اسباب وجودها في القرن

العشرين .

فقد كان هدف القومية الالمانية ، مثلا ، ايجـــاد السوق لصناعتها النامية ، وانتاجها المكدس، ولذلك حملت روح الحقد للشعوب ، والشعور بالامتياز والتفوق ، والرغبة في الفتح والاحتلال . وكذلك القومية الفرنسية .

في حين ان هدف القومية العربية هو توحيد النضال ضد الاحتلال والنفوذ الاجنبي، وضد التخلف ، فهي لذلك ، تحمل على النقيض من تلك ، روح الحقد للاستعمار ، وروح الحب للشعوب ، والشعور بالاخاء والمساواة .

ويرجع اختلاف المحتوى السياسي، و لاهداف والشعارات مابين قوميات أوربا وقوميات آسيا ، الى اسباب كثيرة ملموسة منها ، تغير الظروف التاريخية بين قرنين .

ومنها التطور الهائل في الاوضاع ، والنظم الاقتصادية والسياسية ، والتقدم العلمي والتكنيكي الذي تمخض عنه القرن العشرون ، وغير الكثير من ظروف الحياة وشروطها المادية .

ومنها ثورات التحرر الوطني ، التي أدت الى زعزعة قواعد الاستعمار ، الذي كان مصاحباً للقوميات الاوربية ، وانتهت هذه الثورات الى قيام أوضاع عالمية جديدة .

ومنها انتصار الاشتراكية في عدد من البلدان ، وسيادة افكارها في عدد آخر .

كل هذا ، قد ترك اثره المباشر ، وغير المباشر ، في الحركات القومية في هذا القرن ، مما جعلها تختلف اختلافاً اساسياً عن قوميات أوربا في القرن الماضي ، وتختلف بالتالي معها ، معنى الكلمة ومدلولها .

وليس هذا فحسب . فان بين القوميات الاوربية نفسها ، في القرن التاسع عشر . اختلافاً يميز محتوى هذه القومية من تلك وأهدافها . كما هو الحال بالنسبة للقوميات الاسيوية والافريقية في القرن العشرين . فلكل قومية علاماتها المميزة ، الى جانب النقاط المشتركة مع القوميات الاخرى ، في مرحلة تاريخية معينة

ومن هنا ، كانت دراسة القومية العربية ، في حيقتها ومحتواها ، ضمن شروطها وظروفها الخاصة بهـا ، وعلاماتها المميزة ، امراً محتوماً ، اذا اردنا ان نخرج من الدراسة بفهم موضوعي للقومية العربية .

ولقد سبق القول بأن القومية ، كحقيقة موضوعية ، هي جزء من الامة ، وليست الامة ، وانها تعني وحدة اللغة والثقافة والتاريخ ، والخصائص النفسية ، ولا يشترط فيها اطراد وحدة الارض والمعيشة ، الضرورية للأمة ، كما هو الحال بالنسبة للأقليات القومية التي تعيش خارج ارضها التاريخية .

فالقومية العربية ، كحقيقة موضوعية ، تعني اذن اللغة العربية ، والتاريخ العربي بتراثه وتقاليده ، والخصائص النفسية العربية ، التي اكتسبها الشعب العربي خلال تاريخ طويل من الحياة المشتركة .

ولكن ، ماهو المحتوى السياسي للقومية العربية ، وماذا يراد ان نحقق لنا ؟

ماهو هدفها ، وماهي الشعارات التي تحتويها ؟

هنا تختلف القومية العربية عن القوميات الاوربية اختلافها الاساسي ، وتفترق عنها افتراقها البعيد .

فمحتوى القومية العربية ، هو اليوم ، محتوى كفاح الجماهير العربية ، وهي تحمل كل اهداف هذا الكفاح ، وكل شعاراته .

ونحن اذا استطعنا ان نحدد هذه الاهداف والشعارات على وجه الدقة ، استطعنا ان نعرف محتوى القومية العربيـة السياسي واهدافها ، وماذا نريد منها :

ففي اي اتجاه تناضل الجماهير العربية ؟

لقد مزق الاستعمار الوطن العربي الى دويلات ، واقام على الحكم في كل منها ، قوى وأدوات تسخر الحكم ؛ بالقوة لمصلحته ، وتنتفع منه بنصيب ، لقاء ماتؤدي له من خدمات .

والملاحظ ان نظم هـذه الدويلات ، واوضاعها متخلفة ، على تفاوت في نسبة هذا التخلف بين بلد عربي وبلد . ولابد لكي يتخلص الشعب من هذه النظم والاوضاع ، من القضاء على اسبابها وهي في عمومها وتفصيلها ترجع الى التجزئـة ، والى الاحتلال او النفوذ الاجنبي ، الذي يعوق تطور الشعب ، ويقف في طريق تقدمه فالشعب العربي يناضل من اجل وحدته السياسية . ومن اجل قيام حكم ديموقراطي يمثل ارادته ، ويحقق مصلحته ويقضي على الفساد والتخلف .

وقد نشأ وضع عالمي يحاول فيه الاستعمار ، لخشيته من ان تمزقه ثورة الشعوب ، تشديد قبضته على الشعوب ، وتوصير جبهته في الصراع معها ، فهو يعد للحرب ضدها القواعد ، ويربط فيها

بينها بالاحلاف . وكان نصيب الشعب العربي من هذا ، حلف بغداد ، وعددا من القواعد ، فهو يجد نفسه مضطراً الى ان يقف ضدها ، ويوحد جبهته مع الشعوب الاخرى في المعركة ضد القواعد والاحلاف والاحتلال ، دفاعاً عن الحياة .

وقد انقسم العالم الى معسكرين ، نتيجة تمسك الاستعمار بمصالحه ومواقعه خارج حدوده ، وقيام الاشتراكية في عدد من البلدان ، واصبح هذا الانقسام من العمق والخطورة ، بحيث يهدد البشرية ، في عصر اسلحة الدمار الشامل ، بالدمار الشامل. فالشعب العربي يجد نفسه مضطراً ايضاً الى ان يقف موقف الحياد ، دون ان يعني حياده هذا تخليه عن مسؤوليته في معركة الحرب والسلم . معركة الاستعمار والحرية ، فهو يسهم في نشر افكار السلام ، وتوسيع رقعة الارض التي تفصل مابين المعسكرين وتبعد بالتالي شبح الحرب عن الانسان .

فالجماهير العربية تكافح اذن من اجل التحرر ، وتصفية التخلف في مختلف جوانب حياتها .

وهي تكافح من اجل حكم ديموقراطي صحيح ، يفسح المجال لتطورها وتقدمها ويسير بها في اتجاه الاشتراكية .

وهي تكافح من اجل تحقيق وحدة وطنها العربي الممزق ، بحدوده القومية ، والقضاء على التجزئة التي فرضها المستعمر ، والحدود التي اصطنعها فيما بينها .

وهي تكافح من اجل السلم ضد الحرب وضد سياسة الحرب ، وقواعدها واحلافها .

وهي تكافح من اجل حماية حيادها ، الذي اختارته طريقاً لها في علاقاتها بالعالم المنقسم من حولها .

فالقومية العربية اذن في محتواها السياسي ، وفي اهدافها ، تعني اليوم : الطموح الى انشاء دولة عربية ، موحدة مستقلة ، متحررة ، تقدمية . دولة يحكمها الشعب العربي ذو الثقافة الواحدة واللغة الواحدة ، والتاريخ الواحد ، وتتجه الى بناء الاشتراكية ، باسلوبها الخاص ، وطريقها المستقل .. تحب السلم وتعادي الحرب ، وترتبط بالانسانية من حولها بأوثق الروابط في نضالها المشترك من اجل غد افضل .

**نهاد الغادري**

# «( خصائص الحركة القومية العربية )»

ان جوهر البحث العلمي هو «التحليل الملموس لوضع ملموس» لذا كانت ملاحظة خصائص المكان وانسياب الزمان من اولى بديهيات البحث في العلوم الاجتماعية .

ولكي نتجنب التجريد النظري والتعميم الميكانيكي عند بحث قضايا القومية العربية ، ينبغي ان ندرس تطور شعبنا العربي كما يجري في الواقع الملموس .

ان الانسانية تسير في خط تطوري صاعد ، هذا امر لا شك فيه ، الا ان مجاري تطور الامم ليست متماثلة ، ولا تمر عبر مجرى واحد محدد .

ولكي تتضح القضية في ذهن القارىء . سأعرض بسرعة وايجاز تطور بعض الامم الاوربية ، ثم اعرض تطور الامة العربية ، كي نستطيع استخلاص بعض خصائص الحركة القومية العربية .

– ١ –

آ – في العهد الاقطاعي كان كل بلد مقسماً الى اقطاعات او امارات تكاد تكون مغلقة ، تكفي نفسها بنفسها من مختلف النواحي ، وبصورة خاصة من الناحية الاقتصادية . كانت تلك الامم تعيش في مرحلة « جنينيه » .

ب – جاء تطور الاقتصاد الرأسمالي ليحطم هذه الحواجز الاقطاعية بانشائه سوقاً وطنية واحدة واقتصاداً قومياً يحل محل المراكز الاقتصادية المبعثرة في النظام الاقطاعي . حقاً كانت « السوق المدرسة التي تعلمت منها البرجوازية القومية » .

حـ – كانت السوق الواحدة حاجة البرجوازيين . لذا حملت الطبقة البرجوازية لواء الحركة القومية في اوروبا ، فنشأت القومية بين احضانها وطبعت بطابعها .

ء – كان العامل الاقتصادي ، وبتعبير ادق التطور الاقتصادي الرأسمالي هو محرك القوميات الاوربية ، لانه كان العامل الاساسي في ظهور الدول القومية الموحدة ، وبالتالي هو الذي انضج الشعور الغامض الغض بالقومية . لان عاملي اللغة والارض كانا متوفرين في العهد الاقطاعي ، الا ان العزلة التي فرضتها الحواجز الاقطاعية على اجزاء الامة جعل الشعور بالقومية وضرورة الوحدة هزيلا ، ومـا ان هدم التطور الاقتصادي الحواجز والقيود الاقطاعية حتى انصهرت الامة وتبلور التكوين النفسي لكل شعب .

هـ – كانت جماهير العمال والفلاحين والصناع الحرفيين لا تعي بوضوح كاف مصالحها الطبقية الخاصة . وكان الصراع الرئيسي يدور بين البرجوازية والاقطاعية . فاستطاعت البرجوازية آنذاك – نظراً لطابع نضالها التقدمي – ان تعبىء جماهير العمال والفلاحين والحرفيين .

كان طابع تلك القوميات برجوازياً محضاً ، لان التطور التاريخي كان يجري آنذاك باتجاه فوز الرأسمالية وتثبيت دعائمها ويؤهل بالتالي الطبقة البرجوازية للزعامه .

و – استيقظ الشعور القومي في اوروبا في معمعان نضال طبقي بين البرجوازية والاقطاعية . وقد ظهر ذلك بوضوح تام في الثورة البرجوازية الانكليزية في القرن السابع عشر والثورة البرجوازية الفرنسية في القرن الثامن عشر والثورة البرجوازية الديمقراطية الالمانية في القرن التاسع عشر .

**• • بقلم : ياسين الحافظ • •**

ز – كان هـذا التطور الاقتصادي القائم على الملكية والرأسمالية والذي يحركه عامل الربح والاستثمار دافعاً للتوسع والعدوان على الامم الاخرى ، فطبعت تلك القوميات بالطابع الشوفيني .

ثم اتخذت هذه الامم طابعاً استعمارياً على النطاق العالمي عندما دفع التطور بالرأسمالية الى مرحلتها الاحتكارية .

– ٢ –

اما سير التطور التاريخي الملموس للشعب العربي فقد تميز بالخصائص التالية :

آ – ان الشعب العربي لم يعرف الاقطاعية في شكلها الاوربي الكلاسيكي . لقد لعب الاسلام دوراً حاسماً في تحطيم الشكل القبلي للجماعات العربية ، واتم عملية التفاعل والصهر في قسم كبير من البلدان التي وصل اليها الفتح العربي آنذاك . ففي ظل الاسلام تكونت للشعب العربي ثقافة مشتركة وتبلور تكوينه النفسي ، الاسلام كتراث حضارة ، كثقافة مشتركة ، كتكوين نفسي مشترك ، هو الرحم الذي احتوى امتنـا العربية وحماها من التفتت النهائي والتجزئة الكاملة وهو الذي حال دون تحول الفوارق الكمية

الدرجية التي تكونت خلال الفجوات التاريخية التي عاش فيها الشعب العربي مجزءاً ، الى فروق نوعية كيفية تجعل التجزئة امراً طبيعياً ومنطقياً ، هذا هو الاثر الايجابي للاسلام على شعبنا العربي.

ب ـ على اثر التوسع الاستعماري في العالم ، وخاصة على اثر الحرب العالمية الاولى ، انتقلت المسألة القومية من اوربا الى الصعيد العالمي ، واصبح النضال القومي في اساسه نضالاً تحررياً للجماهير الشعبية وخاصة لجماهير الفلاحين في آسيا وافريقيا ضد الدول الاستعمارية الغربية.

ح ـ ان الحركة القومية العربية قد استيقظت على محاولات الافناء التركيـــة أولا ثم على اضطهـاد السيطرة الاستعمارية الاجنبية . وبالتالي فان القومية العربية لم تستيقظ في غمار نضال طبقي داخلي .

د ـ لم تتطور الرأسماليـــة العربية ـ حتى الآن ـ ذلك التطور الواسع الذي يجعل وجود السوق المشتركة عاملا اساسياً في هدم الحدود بين الاقاليم العربية ، لقد سبق الوعي القومي العربي التطور الاقتصادي بمراحل طويلة ، نكاد لا نتبين صلة سببية بينهما بل يمكن القول ان كل رأسمالية عربية في كل قطر تتطور بصورة منفردة ومعزولة . وهكذا نتبين ان ليس بين البـلاد العربية اقتصاد مشترك ، وبالتالي لن يتاح له ان يلعب ذلك الدور الذي لعبه التطور الرأسمالي في اوربا . ها هنا يبرز دور الفكر القومي الثوري الذي يلحم هذه الثغرة ، اذ يلعب النضال المشترك ضد الاستعمار دور توحيد وصهر لاجزاء شعبنا بتقويته الشعور بالمصير المشترك وتصفيته الشعور بالعزلة والتجزئة .

هـ ـ ان الجماهير الشعبية العربيـــة من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين قد نما وعيها الطبقي والقومي ، ولم تعد كتلا غامضة التفكير مهمة الاتجاه تسير خلف البورجوازية العربية ، لم تعد البرجوازية العربية قائدة للشعب العربي ، بل ينهض بعبء النضال الجماهير الشعبية المعادية للاستعمار . فالبورجوازية الوطنية العربية لم تحتضن وحدها دعوة الوحدة بل احتضنتها جميع الطبقات والفئات الشعبية المعادية للاستعمار .

و ـ ان نهوض الحركة القومية العربية يجري في مناخ دولي تقدمي ، في عصر نهوض الاشتراكية وانتصارها وتفكك النظام الاستعماري وانهياره .

تلك هي الظروف التي تعيشها الحركة القومية العربيـــة ، والعقبات التي تناضلها والفئات التي تحتضنها .

هذا هو مجرى تطورها التاريخي ، الذي طبعها بسمات معينة وخلق لها خصائص مميزة . هذه الخصائص اذن ليست « مطلقة » او « بيولوجية » ، كما انها ليست « سلبية » او « قدراً محبباً » لانها ليست هبة من الطبيعة الخيرة ولا نعمة من التاريخ الغابر المجيد ، وانما هي ثمرة النضال التاريخي الذي يخوضه شعبنا العربي ، وان اعتبار هذه الخصائص غير مطلقة وغير خالدة لاينفي كونها موجودة واساسية وجوهرية .

وهذه الخصائص هي التالية :

١ ـ قوميتنا العربية حركة اممية وانسانية ، فهي قد عانت مظالم الاستعمار وقاست ويلاته ، ولذا فهي تعطف على حركات التحرر في كل انحاء العالم وتدعمها . وهي جزء اساسي من حركة النضال الانسانية ضد الاستعمار ، فهي تقف اليوم في الخط الاول من جبهة الشعوب ، وتجابه الاستعمار العالمي بجموعه ، في كل لحظة وفي كل مكان ، وهي تحمل اعظم المثل العليا الانسانية ، الحرية والتقدم والعدالة والسلام لكل الشعوب .

٢ ـ وقوميتنا العربية حركة شعبية ، فقد حمـــل لواءها واحتضنها جميع الطبقات والفئات والجماهير الشعبية المعاديـــة للاستعمار . ليست البورجوازية الوطنية العربية قائدة الحركة القومية العربية ، بل هي احدى الفئات التي احتضنتها ، المثقفون الثوريون والعمال والفلاحون والبورجوازيون الصغار . هؤلاء هم حملة عبء النضال القومي العربي .

٣ ـ وقوميتنا العربية حركة ديمقراطية ، لانهـــا لم تجابه الاستعمار وحده ، بل جميع القوى الضالعة معه التي ربطت بحكم طبيعتها الطبقية مصيرها النهائي به . لذا كان سحق الاقطاعية كعقلية وكأسلوب انتاج من اولى مهام الحركة القومية العربية

٤ ـ وقوميتنا العربية حركة تقدمية ، وتقدميتها حصيلة السمات الثلاث الاولى معاً ، مضافاً اليها كون نهوضنا يجري في عصر انتصار الاشتراكية في العالم . تحرر قوميتنا من الطابع البورجوازي ومن القيادة البورجوازية وتحالفها الفعـــلي مع المعسكر الاشتراكي في النضال العام المشترك ضد الاستعمار سيفتح امام تطورها في الداخل آفاقا واسعة باتجاه الاشتراكية

دمشق

ياسين الحافظ

# «(( انتصارات القومية العربية ))»

**لم تكن القومية العربية فكرة مجلوبة طارئة ، كما يزعم بعض المؤرخين ، اعتنقها العرب بتاثير الافكار الحديثة التي جاءتهم ، وانما كانت شيئاً اصيلاً في نفوسهم ، لها جذورها في تاريخهم وفكرهم وعقيدتهم وواقعهم . ومما لاشك فيه ان الافكار الحديثة التي غزت العالم والتي امتد تاثيرها الى نفوس العرب قد أسهمت في انتشال العرب من كبوتهم وكانت من جملة العوامل التي دفعتهم الى النهضة ، ولكن هذه الافكار ما كانت لتقدم للعرب القومية الراسخة في نفوسهم بل عملت على ايضاح هذه القومية وجعلت الناس يبغونها لابطبعهم فقط وانما بفكرهم وفلسفتهم أيضاً .**

**★ ★ بقلم : الدكتور جودة الركابي ★ ★**

فالقومية العربية اذاً نسغ أصيل في وجود العرب ، ما كان ليقف في يوم من الايام عن مد العرب بعنصر الحياة . ولقد كانت عصور العرب الذهبية دليلاً على تدفق هذا النسغ الاصيل كما كانت عصور الانحطاط دليلاً على ضعف جريانه . وفي هذا النسغ الاصيل الدائم يكمن سر الوجود العربي .

ان الوجود العربي ، منذ نشأته ، كان يحمل في نفسه مفهومه القومي ، فلقد كان العربي في الجاهلية مرتبطاً أشد الارتباط بقبيلته ، وكانت القبيلة هي المفهوم البدائي لمعنى القومية ، وكان لها مثلها الخلقية التي توارثها العرب وامتدت في تاريخهم وربطتهم بالانسانية . لان هذه القيم من وفاء وشهامة ونجدة واباء للضيم وشغف بالحرية وغيرها كانت تربط العربي بالانسان وتجعل من مثله القومية مثلاً انسانية في الوقت ذاته .

ولكن هذه المثل الانسانية لم تكن كاملة النضج ، وكانت في العصر الجاهلي تعمل في نطاق محدود ، ولم يحاول العرب في مجتمعهم الجاهلي ان يجعلوها شاملة عامة لان وجودهم الضيق لم يسمح لهم بهذا الانطلاق . وعندما جاء الاسلام برسالته الشاملة استطاع العرب ان ينقلوا قيمهم الى سائر الناس وأن يتجاوزوا وجودهم الضيق الى الوجود الانساني الشامل . واستطاع الفتح العربي عندئذ ان يمتد في الممالك البعيدة لانه كان فتح عقيدة وقيم خلقية لافتح غنائم وأسلاب وأطماع بشرية .

ان القومية العربية كانت تحمل اذاً في طياتها بذور الحضارة ولقد قام العرب حقاً بدورهم الانساني خلال تاريخهم الطويل حتى ان عصر المأمون لم يضاهه في العلم والمعرفة والامان أي عصر آخر في التاريخ ، وكذلك عصر عبد الرحمن الناصر في الاندلس ، فقد اقتبست منه المدنية الأوربية أول أنوارها حتى غدت قرطبة محجة لرواد العلم من الغربيين والشرقيين على السواء .

وهكذا ظل العرب خلال تاريخهم يشاركون في اغناء الانسانية بأروع التراث الفكري ، ولكن هذا التاريخ قد اعتوره فترات لاقت خلالها القومية العربية محنا وويلات ومع هذا فقد استطاعت أن تنتصر .

ان انتصارات القومية العربية دليل على غناها بالمثل العليا ، ودليل على أن الشعب العربي قد تأصل في نفسه حب الحرية كما تأصل في نفسه اباء الضيم ، ولذا مـا كان ليصمت الا لينفجر وما كان ليهدأ الا ليثور .

نعم لقد انقسمت الخلافة العربية منذ فجرها الى دويلات ولكن العرب كانوا دائماً رغم انقسامهم يشعرون بأنهم أمة واحدة ، ولم يكن هذا الانقسام ليؤثر في حقيقة القومية العربية ، والدليل على ذلك هذا البعث المتوالي الذي مرت به الامة العربية على الرغم مما نالها من اضطهاد وكوارث .

واذا كان تاريخ العرب يؤكد انتصار القومية العربية خلال الاحقاب الماضية ، فماهي انتصاراتها في عصرنا الحديث ؟

ان انتصار القومية العربية في عصرنا الحديث يتجلى في كفاحها ضد الاستعمار . واول كفاح حديث لها هو وقوفها في وجه الاستعمار التركي .

لقد ناضل العرب خلال عصور طويلة هـذا الاستعمار ، ناضلوا بسواعدهم واقلامهم ، واراقوا الدماء الزكية ، حتى اذا ماقامت الحرب العالمية الاولى اعلنوا ثورتهم في الحجاز فكانت الشرارة الاولى التي انطلقت فيها القومية العربية من سباتها الطويل الذي استمر عدة قرون خلال الحكم العثماني ، ولما وضعت الحرب اوزارها غدر الحلفاء بالعرب ولم يوفوا بعهودهم ومزقوا اوصال البلاد العربية . ولكن القومية العربية الـتي عرفت كيف تناضل الاستعمار التركي ، عرفت ايضاً كيف تناضل الاستعمار

الغربي الجديد الذي حاول ان يحل محل الاستعمار التركي المنهزم ورأينا القومية تنمو في كل من سورية ومصر والعراق لتقف في وجه الاستعمار الانكليزي ـ الفرنسي .

وقد ساعد على نمو الحركة القومية ازدياد الوعي وانتشار الثقافة السياسية بين افراد الشعب العربي ، وبدأت الروح النضالية تتأجج على اقلام الشعراء والكتاب ، واخذنا نسمع من افواههم اقوالاً تبعث العزم في النفوس . فهذا هو الشاعر خير الدين الزركلي يقف سنة ١٩١٩ ليندد بمكر الحلفاء وخداعهم فيقول مخاطباً العرب :

يا امة وقفت على حب العـلا
افلاذهـــا والشيب والشبانا
لبس العداة لها الرياء جلابيا
وطووا لها الاحقاد والاضغانا
هم عاهدوك على الوفاء وما وفوا
ووثقت منهم بالحليف فخانا
عطفوا على الضعفاء حتى خيلوا
لهم المخاوف موئلاً واماناً
وحنوا على الانسان حتى استوثقوا
متحكمين ، فأنكروا الانسانا

ثم نراه لا يكتفي بوصف خداع المستعمرين بل يدعو الى النضال والتمرد مثيراً في النفوس شعلة المقاومة العربية فيقول :

يا راقدين على الهوان تأهبوا
وتجلببوا الادراع والاكفانا
هـذي بلادكم تباح ودوركم
تجتاح ، فابغوا غيرها اوطانا
من خال ان المجد يدرك هيناً
فلينتظر بعـــد الهوان هوانا
أسليل يعرب ، طال منك تريث
حتام تلبث لاهياً حيرانا ؟
هلا امتطيت من الجياد عتاقها
وجلوت عنك العار والخذلانا ؟
ان كنت من عدنان فاسلك نهجه
واذا جبنت فلست من عدنانا

وتحل الكارثة بعدئذ في سورية بعد وقعة ميسلون ، ويحتل الفرنسيون البلاد ، ولكن العرب في سورية لم يستكينوا خلال هذه الفترة القاسية التي مرت بهم . خمسة وعشرون عاماً ذاق خلالها الوطن وحشية المستعمر وذلة ولكنه لم يخضع ، فكانت الثورات تتوالى والدماء تراق رخيصة حتى كتب للقومية العربية نصر جديد في يوم الجلاء . ويقف الشعراء يمجدون هذا اليوم الاغر ويقف شاعر الشام الاستاذ شفيق جبري ليردد على مسامعنا في سنة ١٩٤٦ قصيدته الخالدة ، فنردد معه في كثير من الفخر هذه الابيات التي يخاطب فيها الفرنسيين الراحلين فيقول :

اغركم من شباب الشام يومهم
بميسلون والأيام تنكيـــد
ما نامت الشام عن ثأر تبيته
هيهات ما نومها في الثأر معهود
تكاد تفلت من اكفانها رمم
لتشهد الثأر ، يوم الثأر مشهود
خلت ملوك ، وأرض الشام طاوية
تاج الملوك ، وتاج الشام معقود

**ان انتصارات القومية العربية دليل على غناها بالمثل العليا ، ودليل على ان الشعب العربي قد تأصل في نفسه حب الحرية كما تاصل في نفسه اباء الضيم ولذا ما كان ليصمت الا لينفجر ، وما كان ليهدأ الا ليثور .**

وهذه هي مصر العزيزة ، لقد كان الكفاح الذي بدأ فيهـا ضد الاستعمار البريطاني منذ سنة ١٨٨٢ قد وصل الى اشده عندما رفضت بريطانيا بعد الحرب العالمية الاولى الاعتراف بوفد مصري في مؤتمر الصلح . وكان ذلك التحدي ايذاناً ببدء عهد جديد من الكفاح ، وقد بقي محتدماً حتى بعد الاعتراف الاسمي باستقلال مصر عام ١٩٢٢ ، اذ لم تكن مصر لترضى بذلك الاستقلال الممسوخ الذي كانت فيه البلاد خاضعة للنفوذ الاقتصادي والسياسي والبريطاني .

وجاءت معاهدة سنة ١٩٣٦ ولكنها لم تغير شيئاً من سياسة الارهاب التي فرضتها بريطانيا على مصر . ووقف الشعب العربي في مصر مناضلاً لا يعرف لنضاله هوادة او كلالا ، ولو ان هذا النضال لم يستمر ولم تزداد حدته لما كان الجلاء .

لقد عرف النضال القومي في مصر انتصارات عديدة ، الا ان الانتصار الباهر للقومية العربية انما جاء على يد قائدنا البطل جمال عبد الناصر عندما هب بثورته عام ١٩٥٢ ليطهر القطر المصري من الفساد والاستعمار وليرفع فيه لواء العروبة عالياً ان هذا الانتصار للقومية العربية كان نذيراً مخيفاً للمستعمر الذي جن جنونه فقام بعدوانه المجرم الثلاثي على بورسعيد وكان يبغى من وراء عدوانه هذا القضاء على القومية العربية المتيقظة ولكن القومية العربية كانت اقوى من المستعمرين فقضت على

العدوان الآثم وحققت نصراً جديداً كان من ثمراته وحدة سورية ومصر وقيام الجمهورية العربية المتحدة .

واليوم نشاهد نصراً جديداً للقومية العربية في قطر عربي شقيق هو العراق العزيز . ان هذا النصر المؤزر الذي تم على يد جيش العراق وشعبه الباسل ليؤيد أن العراق لم ينم وأن قوميته العربية متأصلة في نفسه . وهاهو ذا التاريخ يشهد على أن العراق لم يعرف الراحة ولم يعرف الاستسلام . فمنذ أن تجلت خيانة الانكليز لعهودهم صمم الشعب العراقي على مقاومة الاحتلال الاجنبي بكل الوسائل ، وكانت ثورة الشعب العراقي سنة ١٩٢٠ أول ثورة عربية تشن بعد الحرب العالمية الاولى في وجه المستعمر الدخيل . ولولا هذه الثورة لما أنشئت الدولة العراقية ولكن هذه الدولة كانت في أكثر عهودها - مع الأسف - ألعوبة بيد الانكليز الذين جعلوها تدار بيد عملائهم وأنصارهم وذاق العراق في هذه الفترة أنواع الظلم والاستعباد والطغيان ولكن الوعي القومي كان ينمو ويترعرع وكان الشعراء امثال الزهاوي والكاظمي والرصافي ينفخون في الشعب روح الوطنية وينزلون بالمستعمر سياط السنتهم لتلهب الثورة وتؤجج السخط والنقمة على الغاصبين ، فلنسمع الرصافي وهو يتهكم على حكومة الانتداب والاعوان في العراق آنذاك فيقول :



- هذي حكومتنا وكل شموخها
كذب وكل صنيعها متكلف
غشت مظاهرها وموه وجهها
فجميع مافيها بهارج زيف
وجهان فيها باطن متستر
للاجنبي وظاهر متكشف
- هذي كراسي الوزارة تحتكم
كادت لفرط حيائها تتقصف
أنتم عليها والأجانب فوقكم
كل بسلطته عليكم مشرف
- ان دام هذا في البلاد فانه
بدوامه لسيوفنا مسترعف
- لابد من يوم يطول عليكم
فيه الحساب كما يطول الموقف
- الشعب في جزع فلا تستبعدوا
يوماً تثور به الجيوش وتزحف
- كم من نواص للعدا سنجزها
ولحى بأيدي الثائرين ستنتف
- ان لم نضاحك بالسيوف خصومنا
فالمجد باك والعلا تتأفف

لقد تحققت نبوءة الرصافي اليوم ، فقد هب جيش العراق الباسل وهب شعبه الابي في الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ يجز نواصي الخونة ويجرها جراً في شوارع بغداد ، واندلعت ثورته العارمة لتحطم الاغلال وتقضي على الملكية الفاسدة وتعيد الى العراق مجده وعزه ، واذا بالعراق البطل يمشي في موكب العروبة ويسجل نصراً جديداً مؤزراً للقومية العربية .

لقد كتب العرب تاريخهم الحديث بدمائهم ، واذا كانت القومية العربية قد سجلت هذه الانتصارات الجيدة فان في ذلك لدليلا على أن قوى الخير هي الغالبة دائماً والعرب يعلمون اليوم ، أكثر من أي يوم مضى ، أنهم هدف للعدوان والغدر ولكنهم مصممون على اعادة مجدهم وسيظلون واقفين ، والسلاح بيدهم ، لصد كل اعتداء حتى يتم لهم النصر النهائي ، وحتى تتألق شعلة القومية العربية من المحيط الى الخليج ، وسيكون العرب في نضالهم رسل القيم الخالدة في الحرية والمحبة والسلام .

**جودة الركابي**

# مفهوم القومية العربية

## • بين العرب وأوربا •

محمد مصطفى بازامة

خلال عشرات السنين الماضية ، كتبت في القومية العربية ، كتب مطولة ومختصرة ، والقيت محاضرات وأعدت دراسات وبحوث ، ودبجت مقالات عديدة في اللغة العربية ، كتب مطولة ومختصرة ، والقيت محاضرات لغات أخرى ، وقد تعرض بعض مؤلفيها لبحث معنى لفظة « القومية » كاصطلاح ، وحاول البعض ان يضع لها تعريفا يتفق والاتجاه الذي سار ببحثه فيه · غير أن القليلين جدا حاولوا أن يعرفوها تعريفا لغويا صرفا · ولكن احدا ممن قرأت حتى الآن ، لم يذهب في تعريفه لمعنى اللفظ ، مذهب المقارنة بينها في اللغة العربية وفي غيرها من اللغات الاوروبية الحديثة ، كالانكليزية والفرنسية والايطالية ، على سبيل المثال ، ولم يفترض ان هناك اي اختلاف في الفهم اللغوي او في المدلول الفكري بين العربي وغير العربي لهذه الكلمة بالذات ، ربما ، انطلاقا من اعتبار ان كلمة « قومية » في اللغة العربية يقابلها لفظ Nationalism في الغة الانكليزية مثلا ، ومن غير اختلاف ولكن اذا نحن وقفنا وقفة تمعن ودراسة عند المعنى الذي تجده عند الاوروبي لهذه الكلمة ، والمعنى الذي نقصده نحن بها ، وقد نكتشف ان لدى كل منا مفهوما خاصا ، بالاضافة الى المعنى الذي نشترك نحن والاوروبيين فيه ·

اذا رجعنا الى كلمة Nationalism في قواميس اللغة الانكليزية ـ العربية مثلا ، نجدها معربة بكلمة « القومية » ، ويستخدمها الاوروبي عند حديثه عن اية قومية ، ونترجم بها نحن القومية عند حديثنا معه ، سواء عن القومية العربية أو الايطالية أو الالمانية أو أية قومية اخرى ، غير أننا نجد الباحث الايطالي أو الفرنسي او الانكليزي يأتي باصطلاح غيره عند الحديث عن القومية العربية بالذات ، انه يستخدم تركيب :

Panaralism وهو يعني القومية العربية ، ويميل اليه اكثر مما يرتاح الى استخدام تركيب Nationalisation وذلك لانه يرى في الوطن العربي عدة قوميات ، وليس قومية واحدة ، ومن هنا يستخدم عبارة تعنى تجميع القوميات المتجانسة ، للدلالة على حركة القومية العربية في العصر الحديث ٠

ومن جهة أخرى ، نجد في المعاجم اللغوية الاوروبية مشتقات عدة مشتركة مع كلمة Nationalism في الاصل اللغوي مع كلمة Nationalisatiom , Nationalily و Nation اما اذا رجعنا الى ما وضعه معربوها لها من الفاظ عربية ، فاننا نجد كلمات ترجع الى اصول أخرى في اللغة العربية غير الاصل الذي للقومية، اي بتعبير اخر اننا لم نقتصر على « قومي وقوم وقومية » وانما نتجاوزها الى الفاظ من اصول لغوية غيرها في العربية ٠

لقد ترجموا لنا كلمة Nationaliy بكلمة « جنسية » ، مع تسليمنا با نالقومية تعني في وجه من الوجوه معانيها الجنسية ، الا انه من الواضح انهما ليستا من اصل واحد في اللغة العربية ، ذلك ان للجنسية معنى عرقي خالص ، ولو انك سألت ثلاثة اشخاص من السويسريين لاجابك الاول بأن قوميته سويسرية ، ولكنه جنسيا من الالمان ، ولقال لك الثاني بانه سويسري القومية فرنسي الجنس ، ولاجابك الثالث بانه سويسري من حيث القومية ، ولكنه من حيث الجنسية ايطالي ، ذلك ان للعرقية في اللغات الاوروبية معنى ولفظا غير لفظ ومعنى القومية عنده ، وانه يفرق بينهما ذهنيا ف :

عنده مرتبط بالارض التي يستوطن ، وبالدولة التي تمثل السيادة على هذه الارض أكثر من ارتباطه بالعرقية، اي الجنس ٠

ومعنى الجنسية الذي نعطيه نحن كمقابل لكلمة Nationaliy في جوازات السفر وفي الوريقات الخاصة بالخروج وبالدخول الى البلاد ، وعلى تذاكر اثبات الشخصية ( الهوية ) وما شابه ذلك ، لا يتأفف منه اي قومي متحمس شديد التمسك بقوميته ، وهو يسجل امامها او يقبل بان يدون له امامها : مصري ، تونسي ، عراقي ٠٠ الخ ، مع انها في حقيقة المعنى ليست غير اقليمية في مفهومناالقومي ،ولكنها تعنيالقومية في مفهومالاوروبي

فلو فرضنا ان عربيا ، رفض تسجيل مصريته أو عراقيته او ليبيته وأصر على عروبته لما فهمه الموظف الاوروبي ، ولحاوره بأنه انما يريد البلد الذي هو منه والدولة التي جاء منها ، وليس الجنس الذي ينتمي اليه ، ولعل هذا هو السبب الذي جعل الدول العربية ذات الاتجاه القومي تسمي نفسها : العربية السورية والعربية الليبية ٠٠ الخ، ففي هذه الصيغة تقدم للقومية على الوطنية الاقليمية ٠

وترجم لنا المعربون كلمة Nation بكلمة « أمة » ، ومع أن الامة ( قوم ) ، وان القوم « أمة » ، الا انهما ، مع ذلك ، من اصلين مختلفين في اللغة العربية ، ولو ان كاتبا عربيا واحدا ترجم عبارة باسم « القوميات المتحدة » بدلا من « الامم المتحدة » لما قبلنا منه ،ولاعتبرناه قد حاد عن الفهم السليم ٠

ومن ناحية أخرى فان كلمة Nation في اللغة الانجليزية ، وما يقابلها في أية لغة أوروبية تعتبر ذات ارتباط وثيق بكلمة دولة ، وهذا معنى قد تكشف لنا عنه هيئة الامم المتحدة التي لا تقبل أن يمثل فيها العالم على أساس أممي وترفض لهذا أن يكون عضوا فيها شعب أو أمة واقعة تحت نير سلطان دولة أخرى ، وتقبل في ذات الوقت أن تجلس دولة واحدة تمثل قوميات عدة ولكنها لاتعطي غير صوت واحد لاغير ، فاللفظة « أمة » في المفهوم الاوروبي مرتبط أو متحد بالدولة ، وغير مختلف عنه وان كان لكل منهما في مفهومنا العربي معنى خاص ٠

ونجد في القواميس ان كلمة « التاميم » تقابل Nationalisation ومعنى تأميم الشيء جعله ملكا للامة الامة في مفهومنا الحديث هي الامة العربية وليس الشعب الليبي أو المصري او التونسيأو العراقي أو السوداني ، فهل حين تقدم دولة عربية في أي بلد عربي على تأميم مؤسسة اقتصادية أو صناعية أو أي مورد أخر من موارد ثروتها تعني بذلك أنها تجعله ملكا للامة العربية ؟ ٠٠

أم أنها تستخدم هذا اللفظ بغير معناه ؟٠٠ اننا في واقع الامر نستخدمه بمعناه الاوروبي ، الذي يعتبر القومية والامة والدولة مظاهر مشتركة لحقيقة واحدة قوامها الارض والشعب والسلطة الممثلة لهما معا ، في دولة ذات وجود قومي ، فنعني بالتأميم جعل الشيء مملوكا ملكية مشاعة للاقليم الذي يعود هذا الشيء اليه دون بقية أقاليم الوطن العربي وليس لجميع الامة العربية ومن هنا ندرك أن الامة بمعناها العربي الشامل الذي نعتبره مرادفا للقومية ليس مقصودا في لفظ التاميم ، واننا نقع في معنى اقليمي جد محدد له ونحن نستخدمه ، بينما لايجد الاوروبي نفسه واقعا في هذه الدوامة فالقومية والامة والدولة والشعب عنده وفي لغته مشتقات عن أصل واحد مشترك ٠

نجد في القواميس أخيرا أن المعربين قد وضعوا في مقابلة :Nation كلمة وطني ٠ وهذه قد تتسع في مفهومنا العربي لتشمل سائر أرض العرب من الخليج

العربي حتى المحيط الاطلنطي . ومن الاسكندرونة حتى المحيط الهندي ، وحتى اخر تخوم السودان العربي ، ولكنها قد تضيق ايضا أو تتقلص حتى تقتصر على مصر وحدها او على لبنان وحده وكم أحسست بالامتعاض الذي يبديه الرجل المتشوق للفكرة القومية وهو يسمع الدعوة ترتفع الى الوحدة الوطنية في أي بلد عربي بالذات ، من هنا نكتشف ذلك التداخل بين الاقليمية والقومية في كلمة وطنية عندنا ، في وقت لا يشعر فيه الاوروبي بأية ازدواجية في فهمه لكلمة . Nation

ذلك أن الوطن عنده فكرة معنوية تجسدها ماديا تلك الارض التي يسكنها تحدها حدود دولته الخاضع لها ، أما نحن العرب فان الوطن عندنا فكرة معنوية أيضا غير أن ما يجسدها في أذهاننا هو ذلك الامتداد للقومية العربية لغويا وعرقيا وتاريخيا دون الحـدود السياسية التـي لاتجسدها الا بمعناها الاقليمي الضيق المحدود .

من هذا الذي تقدم ندرك أن الفهم الاوروبي لهذا المفهوم بالرغم من أننا لم نخرج بالدراسة المقارنة عـن المحيط اللغوي للالفاظ التي نستخدمها في مقابلة الفاظ ذات أصل واحد مشترك في جميعها عند الرجل الاوروبي

وأعتقد أن علينا أن نعي هذه الفوارق بيننا وبينه في الفهم ما دمنا في حاضرنا نترجم الكثير عنه ونتبناه بحكم أننا المتأثرون وهو المؤثر في هذه المرحلة الحضارية .

واذا نحن انتقلنا في مجال المقارنة من اللغة الـى التاريخ والواقع السياسي باعتبار ان القومية اصطلاح سياسي أو هو يعكس واقعا سياسيا يستند فيما يستند الى جذوره التاريخية القريبة والبعيـدة عـلى السواء ، نجد أن منطلقات الرجل الاوروبي في فهمه للقومية مختلفة اختلافا جذريا عن مفهوم الرجل العربي لها . ذلك أن كلا منهما يستلهم ماضيه ، وماضي الرجل الاوروبي كانت قوميات قوامها الارض وليس الانسان ، بمعنى أن ساكن الارض الذي يستقر بها يكتسب قوميتها أي كانت جنسيته الاولى . فالفرنسي هو ساكن فرنسا ، والانجليزي هو ساكن انجلترا .. الخ . أما ماضي الرجل العربي فان له قومية واحدة قوامها الانسان ساكن الارض وليست الارض ذاتها، فحيثما حل العربي واستقر وانتشرت لغته امتدت قوميته فالارض عربية بنسبتها اليه وليس هو بالعربي لان سكن الارض العربية ، وقوميته انتماء الى أصل أول هو الجـد الذي ينتمي اليه وقومه اليه ، فهو عدناني أو قحطاني مهما بعد به الزمن عن هذا الاصل فانه حريص على أن ينتهي اليه من سلسلة آباء وأجداد يعرفها من اهتم بدراسة علم الانساب العربية التي ظلت العناية به حتى أواخر القرن التاسع عشر للميلاد .

من هنا فان الاوربي الذي يرتبط مفهوم القومية عنده بالارض قد عجز عن فهم الدعوة للقومية العربية التي تمتد من الجزيرة العربية لتشمل أقاليم عدة لكل منها في نظره شخصيته القومية الخاصة ، لتنصهر جميعها في قومية واحدة فقط هي القومية العربية ، بينما تفكيره يقوده الى اعتبار أن العربي الذي سكن واستقر في مصر يجب أن يكون مصري القومية حتى ولو كان من أصل عربي والعربي الذي بالعراق لايمكن في نظره الا أن يكون عراقي القومية حتى ولو تكلم العربية وكان عربي الاصل ، وهكذا عنده بقية أقاليم المنطقة ، ولكي ينسجم مع نفسه وفكره ومفهومه القومي قال بتجميع القوميات المتجانسة ولم يقل بقومية واحدة فجاء باصطلاح ( البان أرابيزم ) عند حديثه عن القومية العربية ولم يقل بالناسيوناليزم التي تعني عنده القومية .

ومن هنا ايضا فان العربي الذي ينطلق من الواقع الانساني في مفهومه للقومية انطلق بدعوته لها مذ وعاها فكره الى خارج حدوده الاقليمية ليشمل بها كل الاقاليم التي تسكنها الامة العربية ، وأبى أن ينقاد لفكرة التجزئة في الوطن العربي فاتهم صراحة كل داعية للشخصيـات الاقليمية بأنه داعية للفرقة والتجزئة ، وسماه بالاقليمي وباللاوحدوي وبعميل الرجعية والاستعمار لانه لا يفهم القومية من واقعها الجغرافي السياسي وانما من واقعها الاجتماعي البشري ولذا فان حدودها عنده انما ترسمها المجتمعات الناطقة بالعربية والعائدة في جميعها أو معظمها الى الاصل العربي .

ومع أن الدول العربية الحديثة تأخذ بالمفهـوم الاوروبي للقومية في تشريعاتها ، فتعامل العربي من أقليم معين على أنه أجنبي، وتخضعه للاقامة بتصريح والعمل بتصريح والتنقل بجواز سفر ، وتمنحه جنسيتها وتمنعها عنه الى اخر ما هنالك فان المواطن العربي لاينقاد في مجتمعه لهذا المفهوم ويتنكر له ويعامل العربي كعربي وليس كأجنبي ، ثم انه من ناحية أخرى لا يدخل في جنسته غير العربي الذي يحمل جنسية أمريكية مثلا فهي عنده مجرد وثيقـة رسمية لا تلغي جنسه العربي كما لا تدخل غير العربي في زمرة العرب .

وعلى هذا فان المثقف العربي لابد وان يدرك ان للقومية في المفهوم العربي معنى متفقا جزئيا مع المفهوم الاوروبي للقومية ومختلفا عنها في الباقي فلا يلقي الكلام على عواهنه ولا يقتبس الاحكام والادلة عن القوميـات الاوروبية ، وكما هي ، وهو يعرب أو يقدم لنا فكر الغرب في مقالة أو كتاب .